اساس الثروة

قلنا في الكلام على جزيرة كوبا في مقتطف دسمبر الماضي ان ريع القطر المصري كلهُ من ثمن القطن والحبوب والبرسيم وقصب السكر يقدر بنحو مئة وثلاثين مليوناً من الجنيهات وان سكان القطر يبلغون الآن ثلاثة عشر مليوناً من النفوس فاذا قُسم هذا الريع عليهم خص النفس منهم عشرة جنيهات لا غير وهي في هذه السنة مثل خمسة جنيهات في غيرها

ولا يخفى ان ليس لسكان هذا القطر دخل يعتدُّ بهِ الاَّ من الزراعة فليس لهُ تجارة خارجية وصناعتهُ لا تستحق الذكر لان دخلها لو قسم على عدد السكان ما خص النفس منهم عشرة غروش. قابل ذلك بدخل اهالي كوبا من زراعتهم فانهُ يصدر منها في السنة من الحاصلات الزراعية ما ثمنهُ ٨٠ مليون جنيه وعدد السكان مليونان و٦٣٠ الف نفس فيخص كل نفس منهم اكثر من ثلاثين جنيهاً اي ان متوسط دخل النفس منهم ثلاثون جنيهاً عدا ما يأكلهُ من ريع بلاده. اوقابل ذلك بما يخص النفس من سكان الولايات المتحدة او فرنسا او انكلترا تجد ان الفرق بيننا وبينهم كبير جداً ففي الولايات المتحدة الاميركية كانت قيمة المصنوعات ٤١٣٤ مليون جنيه

وقيمة الحاصلات الزراعية	١٧٠٠	»	»
وقيمة المستخرجات المعدنية	٠٣٩٨	»	»
وريع الغابات	٠١٣٧	»	»
ومصائد الاسماك	٠٠١٣	»	»
والجملة	٦٣٨٢	»	»

وذلك سنة ١٩١٠ وكان عدد السكان حينئذٍ اقل من مئة مليون نفس فيخص النفس منهم نحو ٦٤ جنيهاً في السنة. اي ان دخل السكان في الولايات المتحدة من خيرات الارض واعمال الصناعة لو قسم عليهم بالسوية لخص النفس منهم ٦٤ جنيهاً فهو اكثر من ستة اضعاف ما يصيب النفس في القطر المصري الآن ونحو ١٢ ضعف ما كان يصيبهُ منذ خمس سنوات

واذا فرضنا ان الذين يكتسبون فعلاً هم الذكور العاملون من ابن عشر سنوات

الى ابن سبعين سنة فعددهم لا يزيد على خمس السكان وهم في الولايات المتحدة نحو عشرين مليوناً فمتوسط دخل الواحد منهم ٣٢٠ جنيهاً. ويختلف دخل النفس هناك في السنة من بضعة ملايين من الجنيهات الى اربعين جنيهاً او اقل فدخل وكفلر مثلاً نحو عشرة ملايين من الجنيهات في السنة ودخل الولد الذي يعمل في معمل قد يكون اقل من اربعين جنيهاً. وعدد العاملين عندنا نحو خمس عدد السكان ايضاً فمتوسط دخل الواحد منهم في السنة نحو خمسين جنيهاً وهو يختلف من عشرات الالوف من الجنيهات الى اقل من خمسة جنيهات او اربعة

ولا يخفى ان ثروة البلاد تتوقف على دخل سكانها واذا بحثنا وجدنا ان متوسط دخل السكان في كل البلدان الاوربية يزيد على متوسط دخل السكان عندنا زيادة كبيرة جداً. وهذا شيء عددي لا يقبل الجدال واسبابهُ كثيرة اهمها كثرة العاملين عندهم بالنسبة الى غير العاملين وكثرة اعتمادهم على عقولهم وعلى الحقائق العلمية والآلات والادوات التي تسهل الاعمال. وهم متفاضلون في ذلك حتى لقد ثبت بالمقابلة ان العامل الاميركي يعمل ثلاثة اضعاف ما يعملهُ العامل البريطاني لان الاميركي اكثر من البريطاني اعتماداً على الحقائق العلمية والآلات الحديثة المتقنة. واذا قوبل العاملون من الاميركيين بالعاملين عندنا ظهر الفرق بيننا وبينهم كبيراً جداً فان الزراعة اهم معايشنا بل تكاد تكون المعاش الوحيد لنا واراضينا الزراعية اخصب من اراضيهم من كل وجه واقليمها اصلح للزراعة من اقليمهم فيبلغ محصول فدان القطن عندنا اكثر من مضاعف محصول الفدان عندهم. ودخل الزراعة عندهم نحو خمسي دخلهم من الصناعة والمشتغلون بالزراعة منهم جزء صغير من السكان وهم على قلتهم وقلة خصب ارضهم يزرع الفلاح منهم اضعاف ما يزرعهُ الفلاح عندنا ويستغل اضعاف ما يستغلهُ الفلاح عندنا فيستغل فلاحو اميركا من الحبوب ما يمون بلادهم وجانباً كبيراً من اوربا. ومن القطن ما يكفي معاملهم ومعامل اوربا فانهم يرسلون من قطنهم الى اوربا نحو ستة اضعاف محصول القطر المصري. والفرق الكبير بيننا وبينهم من هذا القبيل انهم يستعينون بالآلات اكثر مما نستعين نحن والفرق الاكبر ان الفلاح منهم يعمل في سنتهِ مضاعف ما يعملهُ الفلاح منا. وما يقال عن الفلاح عندنا من حيث الكسل والبطء والاهمال يقال عن جميع العمال ولاسيما اذا كانوا يعملون بالاجرة وليس عليهم رقيب. وان اتعب منظر يراهُ معتاد سرعة

العمل منظر الحراثين يعشون وراء الثيران وهي تحرث الارض او تقصبها يعشون الهوينا كأن تحت اقدامهم بيضاً يخشون تكسيره. وقلما ترى عاملاً مجتهداً في عمله اذا كان مأجوراً. واذا قابلنا عمل الصناع عندنا بعمل الصناع في اميركا ظهر لنا الفرق الشاسع بيننا وبينهم والسبب الاكبر لكثرة ثروتهم وقلة ثروتنا. وهاك جدولاً يبين قيمة عمل الصانع في اميركا وصافي الربح من ذلك

نوع عمل العامل	قيمة عمل العامل في السنة	صافي ربحه في الاسبوع
عمل الجزم والاحذية	٥١٦ جنيهاً	٣٥٠ غرشاً
استخراج الزبدة وعمل الجبن	٢٩٧٩ »	٨١٥ »
عمل السمنت	٤٧٢ »	٤٨٥ »
الخياطة	٤٨٤ »	٤٣٥ »
نسج المنسوجات القطنية	٣٣٢ »	٢٤٨ »
عمل الساعات	٢٩٦ »	٤١٥ »
عمل الكاكين والمواسي	٣٢٣ »	٤٠٥ »
صبغ المنسوجات	٣٧٩ »	٤٢٠ »
عمل الاسلحة	٤٦٤ »	٤٤٠ »
عمل الكفوف	٤١٦ »	٣٥٠ »
عمل الجرابات	٣٠٩ »	٢١٠ »
الدباغة	١٠٥٤ »	٤٥٣ »
حرق الجير (الكلس)	٢٥٨ »	٣١٠ »
استخراج البترا	٦٢٠٩ »	١٩٥٠ »
عمل عيدان القصدير	١٧٢٦ »	٢١٥ »
عمل الاصباغ والادهان	٤٠١٢ »	١٢٤٥ »
عمل الورق	١٥٨٤٦ »	٥١٥ »
عمل الاقلام والريش	٧١٠ »	٤٢٥ »
الطباعة ونشر الكتب	١١٥٤ »	٧٨٠ »
نسج الحرير	٩٨٩ »	٣٤٥ »
عمل الصابون والشمع	٢١٦٠ »	١١٣٥ »

وقد حسبنا الثمن فيما تقدم خمسة غروش . وواضح من هذا الجدول ان العامل يكتسب في يومهِ من جنيهين كما في عمل الاصباغ والادهان الى اقل من ريالين كما في عمل الجرابات ومتوسط ربح العامل في كل هذه الاعمال ٥٧٦ غرشاً في الاسبوع او ٩٦ غرشاً في اليوم من ايام العمل . ولا يخفى ان العامل لا يأخذ كل هذه الاجرة الاَّ اذا كان يعمل وحدهُ مستقلاً ولكنهُ اذا كان اجيراً في معمل اخذ صاحب المعمل جانباً منها مقابل رأس المال ولكن للعامل جانباً كبيراً من الربح . ولا يكون عمل العامل رابحاً الاَّ اذا كان كثيراً متقناً فالخياط الاميركي الذي يربح عملهُ ٤٣٥ غرشاً في الاسبوع او نحو ٧٣ غرشاً في اليوم يخيط في يومهِ ثلاثة اضعاف ما يخيطهُ الخياط المصري اذا كانت اجرة هذا ٢٥ غرشاً في اليوم وما ذلك الاَّ لان الخياط الاميركي يستخدم الآلات للتفصيل والخياطة ويجتهد في عملهِ ويسرع اكثر من الخياط المصري . والجبار الاميركي الذي يبلغ ربح عملهِ في الاسبوع ٣١٠ غرشاً او نحو ٥٢ غرشاً في اليوم لا يعطى هذه الاجرة او اكثرها الاَّ لانهُ يستحقها بعمله

واربح الاعمال كلها استخراج البيرا فان ربح عمل الصانع ١٩٥٠ غرشاً في الاسبوع او ٣٢٥ غرشاً في اليوم ولعلَّ اجرتهُ منها لا تزيد على مئة غرش في اليوم فيبقى لصاحب معمل البيرا ٢٢٥ غرشاً من عمل كل عامل ولذلك يكثر الاغنياء بين اصحاب معامل البيرا حتى ارتقى كثيرون منهم الى رتبة الاشراف في البلاد الانكليزية

وواضح من ذلك ان ازدياد الثروة في اوربا واميركا ناتج بالاكثر من اجتهاد العمال فيها ومواظبتهم على اعمالهم زراعية كانت او صناعية واعتمادهم على المكتشفات العلمية واستعانتهم بالآلات والادوات المستنبطة حديثاً

ولا يخفى ان الثروة اساس الاستقلال فاذا اردنا ان نستقل في امورنا استقلالاً حقيقياً وجب ان ننمي ثروتنا اولاً حتى نتخلص من ديوننا ويقوى مركزنا المالي . والمال ينشىء المدارس ويوسع نطاق العلوم ولكن المال لا ينمو ولو كان تراب الارض ذهباً الاَّ بالاجتهاد المستمر واتقان الاعمال والاعتماد فيها وعلى احدث المخترعات والمستنبطات وسائر الوسائل العلمية